AL-AZHAR UNIVERSITY
BULLETIN OF THE FACULTY
OF
LANGUAGES & TRANSLATION

جامعة الأزهر
مجلة كلية اللغات والترجمة

أثر الأيديولوجية الفكرية في تناول شخصية السلطان عبد الحميد الثاني

د/ محمد فوزي محمد إمام

قسم اللغة التركية وآدابها
كلية اللغات والترجمة
جامعة الأزهر

أثر الأيديولوجية الفكرية في تناول شخصية السلطان عبد الحميد الثاني

محمد فوزي محمد إمام
قسم اللغة التركية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
البريد الالكتروني: mohamedfawzyturk@gmail.com

ملخص: إن السلطان عبد الحميد الثاني هو واحد من أهم سلاطين الدولة العثمانية. وقد صادفت فترة حكمه كثيرًا من التحديات، ومرت الدولة في عهده بكثير من الصعاب، وتعرض لضغوط لا حصر لها طوال فترة حكمه لإصدار بعض القرارات التي تخدم سيطرة الدول الغربية على الدولة العثمانية. اختلف كثير من الكُتَّاب حول طريقة حكمه وإدارته للبلاد، وهذا الإختلاف في الحكم عليه كان يصدر أحيانًا من الأيديولوجيات الفكرية التي يعتنقها صاحب هذا الرأي أو ذاك. وقد تناولتُ من خلال هذا البحث أهم القضايا التي دار حولها كثير من اللغط، واتسمت الآراء فيها بالتناقض الشديد. ومنها: المشكلة الأرمنية، وفكرة إنشاء الجامعة الإسلامية، والقضية الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: السلطان عبد الحميد الثاني، الأيديولوجيات الفكرية، الدولة العثمانية، المشكلة الأرمينية، القضية الفلسطينية.

The Impact of Intellectual Ideology on The Personality of Sultan Abdul Hamid II

Mohammed Fawzy Mohammed Emam
Department of Turkish Language, Faculty of Languages and Translation, Al Azhar University, Cairo, Egypt.
E-mail: mohamedfawzyturk@gmail.com

Abstract: Sultan Abdul Hamid II is one of the most important sultans of the Ottoman Empire. The period of his rule encountered many challenges, and the state went through many difficulties during his reign, and he was subjected to countless pressures throughout his rule to pass some decisions that served the control of the Western countries over the Ottoman Empire. Many writers disagreed about the way he ruled and managed the country, and this difference in judging him sometimes stemmed from the intellectual ideologies embraced by the owner of this or that opinion. Through this research, I have addressed the most important issues around which there has been a lot of confusion, and opinions on which have been characterized by extreme contradiction. Including: The Armenian problem, the idea of establishing the Islamic University, and also the Palestinian issue.

keywords: **Sultan Abdul Hamid II, Intellectual Ideologies, Ottoman Empire, The Armenian Problem, The Palestinian İssue.**

المقدمة

مما لا شك فيه أن السلطان عبد الحميد الثاني (1842–1918م) من أكثر سلاطين الدولة العثمانية الذين دار حولهم كثير من اللغط فيما يتعلق بطريقة حكمه للبلاد، وتعامله مع الأقليات، والبلاد التابعة للدولة العثمانية آنذاك، وذلك على النقيض من حكام آخرين حكموا كثيرًا من البلدان شرقًا وغربًا، ولم يختلف أحد في الحكم عليهم.

ففي الوقت الذي يصفه بعضهم بصفات التقوى والورع والزهد وإعطائه للأقليات التي تقطن الدولة العثمانية قدرًا كبيرًا من الحرية، يصفه آخرون بأنه دموي طاغية مستبد، وبديهي كان للأيديولوجية الفكرية أثرها في إطلاق بعض الأحكام على السلطان عبد الحميد الثاني. فهناك كثير من المقالات والبحوث التي تناولت فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني بالبحث والدراسة، ولكنها تعتمد في المقام الأول على مصادر بعينها، وتهمل أخرى بعينها أيضًا.

فبعض هذه الكتابات يعتمد على ما كتبه السلطان عن نفسه من مذكرات في نهاية حياته، وطائفة أخرى تعتمد على ما تناقلته الصحف الغربية من أخبار تتعلق بحكم الدولة العثمانية إبان عهد السلطان عبد الحميد.

وكل كاتب يريد أن يكتب ما يتوافق مع قناعاته وأيديولوجياته هو حتى وإن كانت هذه الأيديولوجيا مؤقتة، وحينئذ إن وقعت تحت يديه وثيقة تتعارض مع أيديولوجياته تلك فإنه يتغاضى عنها ويهملها.

ومن خلال هذا البحث نجيب عن بعض الأسئلة المهمة وفي الطليعة منها كيف أن الأيديولوجية الفكرية كان لها تأثير كبير في تناول بعض الكتّاب للأحداث المرتبطة بسياسة وطريقة إدارة السلطان عبد الحميد الثاني للبلاد، وذلك من خلال عرض آراء متناقضة تمامًا لا يوجد بينها أي نقطة التقاء. ويجدر بنا أن نشير أيضًا إلى أن بعض الكتاب المعاصرين للسلطان عبد الحميد الثاني ذهبوا إلى وصفه بالصفة وعكسها.

وقد اشتمل البحث على

مقدمة: وتتضمن موضوع البحث وأسباب اختياره، وغيرها من الأمور التي من شأنها إطلاع القارئ على ما هو مقدم على قراءته.

تمهيد: ويتضمن محورين أساسيين هما:

أولًا: مفهوم الأيديولوجيا

ثانيًا: السلطان عبد الحميد الثاني

وأربعة مباحث:

المبحث الأول: المشكلة الأرمنية والأقليات الموجودة داخل الدولة العثمانية.

المبحث الثاني: القبضة الأمنية ومنع الحقوق والحرِّيات.

المبحث الثالث: فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية.

المبحث الرابع: القضية الفلسطينية.

وأخيرًا الخاتمة التي أعرض فيها ما توصلت إليه من نتائج من هذا البحث.

التمهيـــد

أولًا: الأيديولوجيا

مفهوم الأيديولوجيا

إن كلمة أيديولوجيا دخيلة على جميع اللغات الحية. وتعني لغويًا في أصلها الفرنسي، علم الأفكار، لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي، إذ استعارها الألمان، وضمنوها معنى آخر، ثم رجعت إلى الفرنسية، فأصبحت دخيلة حتى في لغتها الأصلية. ليس من الغريب في هذه الحالة أن يعجز الكتَّاب العرب عن ترجمتها بكيفية مُرضية. إن العبارات التي تقابلها– منظومة فكرية، عقيدة، ذهنية الخ– تشير فقط إلى معنى واحد من بين معانيها[1].

إن المشكلة الأولى التي تواجه أية مناقشة لطبيعة الأيديولوجيا هي حقيقة أنه لا يوجد تعريف مستقر أو متفق عليه لذلك المصطلح، وإنما هناك مجموعة من التعريفات المتنافسة. ومثلما وضع دافيد ماكليلان الأمر (الأيديولوجيا هي أكثر المفاهيم مراوغة في العلوم الإنسانية بأكملها)[2].

ما هي الأسباب التي جعلت الفكر الإنساني في كل أدواره يرى الأشياء طبقًا لدعواه هو لا طبقًا لذات الأشياء نفسها ؟ في هذا الاستعمال يقابل مفهوم الأدلوجة مفهوم الحق: الحق هو ما يطابق ذات الكون، والأدلوجة ما يطابق ذات الإنسان – في– الكون. نقول إن فلانًا ينظر إلى الاشياء نظرة أدلوجية. نعني أنه يتخير الأشياء ويؤول الوقائع بكيفية تظهرها دائمًا مطابقة لما يعتقد أنه الحق. ويتعارض الفكر الأدلوجي مع الفكر الموضوعي الذي يخضع للمحيط الخارجي فيتشبع بقوانينه[3].

---

[1] – عبد الله العروي: **مفهوم الأيديولوجيا**، الطبعة الثامنة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2012، ص9.

[2] – أندرو هيود: **مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية**، ترجمة محمد صفار، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2012، ص14.

[3] – عبد الله العروي: **مصدر سبق ذكره**، ص10.

فكلمة أيديولوجية تشير في المعتاد إلى طريقة في التفكير خاطئة على نحو نسقي، إلى وعي زائف. فإذا آمنا بقوة التمثيل في تشييد الواقع، أصبح من الصعب الاحتفاظ بالتمييز بين الحقيقة والزيف. وقد تكون هناك "تأثيرات حقيقية" تنتجها أنظمة الدلالة المتنوعة أو الخطابات، ولكن ليس من الممكن وجود أي مقياس خارجي للحكم نستطيع وفقًا له تقييم المزاعم المختلفة[4].

إن غالبية المستعملين اليوم ينسون أو يتناسون هذه الارتباطات المنطقية، لكنهم لا يستطيعون محوها من تفكيرهم، فتؤثر في تحليلاتهم وتحدد اختياراتهم وتفرض عليهم مناهجهم رغما عنهم[5].

ثانيًا: السلطان عبد الحميد الثاني

ولد السلطان عبد الحميد الثاني في استانبول بتاريخ 22 سبتمبر عام 1842م[6]. وبسبب وفاة والدته وهو في سن العاشرة من عمره، قامت السيدة بريستو –التي لم يكن لديها أطفال– بدور الأم له وذلك بتكليف من والده. إن حرمانه من حب أمه له، وتعامل والده بعدم اكتراث، حكم عليه بالوحدة منذ طفولته[7].

والسلطان عبد الحميد الثاني هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية. تولى عرش الدولة وهو في الرابعة والثلاثين من عمره. تلقى عبد الحميد تعليمًا منتظمًا في القصر السلطاني[8]، تحت إشراف مدرسين خصوصيين. فتعلّم اللغة التركية على يد عمر أفندي، واللغة الفارسية على يد علي محيي أفندي، واللغة العربية والعلوم الأخرى على يد كل

---

[4] – ديفيد هوكس: **الأيديولوجية**، ترجمة: إبراهيم فتحي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2000، ص5.

[5] – عبد الله العروي: **مصدر سبق ذكره**، ص13.

[6] - M.Metin HÜLAGÜ: **Bir İnsan Olarak Sultan II. Abdülhamid**, Fen-Edebiyat Fakültesi, Erciyes Üniversitesi, Kayseri, tarihsiz, s.1.

[7]- Cevdet Küçük: **İslam Ansiklopedisi**, 1. Cilt , Türkiye Diyanet Vakfi, Ankara 1988, s.217.

[8] – محمد حرب: **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق 1990، ص31.

من فريد وشريف أفندي، والتاريخ العثماني على يد لطفي أفندي واللغة الفرنسية على يد أدهم باشا وكمال باشا وفرنسي يسمى جارديت، والموسيقى من إيطاليين يسميان جواتلي ولومباردي[9].

والده هو السلطان عبد المجيد، أول سلطان في آل عثمان يضفي على حركة تغريب الدولة العثمانية صفة رسمية، إذ أنه أمر بتبني الدولة لهذه الحركة وأمر بإصدار فرماني التنظيمات عامي 1854م و 1856م، وبهما بدأ في الدولة العثمانية ما سمي بعهد التنظيمات وهو اصطلاح يعني تنظيم شؤون الدولة وفق المنهج الغربي. بهذين الفرمانين عُطل العمل بالشريعة الإسلامية، وبدأت الدولة تستلهم الروح الغربية في الحياة، وتستلهم الفكر الغربي في التقنين وإقامة المؤسسات[10].

عندما اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني العرش كانت الدولة العثمانية تعيش في أزمة كاملة في الداخل والخارج، ووصلت الضائقة المالية إلى مستويات لا يمكن تحملها[11]. نعم فقد اعتلى العرش عندما كانت الأزمات تحيق بالسلطنة من كل جانب: خزانة مفلسة، وجند عزل، وعناصر تراودها أحلام القومية الجميلة، وشعب توَّاق للحكم البرلماني. وإلى جانب ذلك مؤامرات دولية في سبيل تحقيق الأماني القومية لبعض العناصر العثمانية. هذا بالإضافة إلى مؤامرات سياسية للاتفاق على اقتسام إرث الرجل المريض (أي الدولة العثمانية إبان ضعفها)[12]. وكانت الحرب مع صربيا والجبل الأسود مستمرة منذ شهرين. والتي كانت سببًا في إثارة العاطفة لدى الشعب العثماني، لا سيما من علِموا بالأحداث عن طريق الصحافة، فبدأوا يدعمون هذه الحرب بالنفس والمال. وكانت الحكومة العثمانية تأمل في الحصول على الدعم

[9] - Cevdet Küçük, **a.g.e**, s.217.

[10] – محمد حرب: **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني**، الطبعة الثالثة، دار القلم، دمشق 1991، ص17.

[11] - Seyfullah Arpacı: Sultan II. Abdülhamid, ışık Yayınları, İzmir 2005, s.41.

[12] – محمد حرب: **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**، مصدر سبق ذكره، ص34.

في الساحة السياسية مخبرةً الدول الأوروبية أنها دخلت الحرب بضغط من صربيا والجبل الاسود، وأنها لم تكن الطرف المعتدى. وفي الواقع كان هذا الإجراء في محله[13].

كان السلطان عبد الحميد الثاني يفكر في إعادة الدولة العثمانية إلى سابق مجدها في المستقبل، وكان يجتهد في هذا الميدان لبلوغ ذلك[14].

ونجح السلطان عبد الحميد الثاني في تأسيس سلطة قوية خلال خمس سنوات، والقيادة التي أظهرها في تأسيس هذه السلطة صارت واحدة من أجمل نماذج الاستراتيجية السياسية[15].

وكانت السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني يسيرة من حيث المبدأ، غير أنها كانت صعبة إلى حد ما من حيث التنفيذ. فالمبدأ الأساسي لسياسته الخارجية هو إبعاد البلاد عن الحرب والعيش في سلام، وعلى هذا النحو يضمن النهضة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد[16]. تم عزل السلطان عبد الحميد الثاني في 27 ابريل عام 1909[17]، وتوفي يوم الأحد 10 فبراير 1918م[18].

المبحث الأول: المشكلة الأرمنية والأقليات الموجودة داخل الدولة العثمانية

لقد قيلت وكُتبت كثير من الأشياء الإيجابية والسلبية بخصوص السلطان عبد الحميد الثاني[19]. ومن القضايا المهمة التي شغلت كثيرًا من الكتاب في الشرق والغرب، وكانت دافعًا لدى الكثير منهم لتناول شخصية السلطان عبد الحميد بالبحث والدراسة هي قضية الأرمن. ومن خلال الأيديولوجية الفكرية لدى هؤلاء الكُتَّاب راح كل منهم يتبارى في وصف السلطان

---

13 - Seyfullah Arpacı: **a.g.e**, s.60.

14 - Mehmet AYDIN**: İkinci Abdülhamid Hanın Liderlik Sırları**, gümüş ofset, tarihsiz, s.11.

15 - Seyfullah Arpacı: **a.g.e**, s.41.

16 - Seyfullah Arpacı: **a.g.e**, s.48.

17 – سليمان قوجه باش: **السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسياسته**، ترجمة: د/عبد الله أحمد إبراهيم، الطبعة الأولى المركز القومي للترجمة 2008، ص617.

18 - Cevdet Küçük: **İslam Ansiklopedisi**, a.g.e, s.223.

19 - M.Metin HÜLAGÜ: **a.g.e**, s.1.

عبد الحميد الثاني بصفات لا توجد أي خطوط مشتركة فيما بينها بل تناقض بعضها بعضًا. فمنهم من رفعه ومنهم من وضعه. منهم من عظمه ومجده ووصفه بصفات رجال زمن النبوة ومنهم من حقره وازدراه ونعته بأبشع الألفاظ ووصفه بأنه السلطان الأحمر كناية عن حبه لسفك الدماء. لكن في الوقت نفسه كانت هناك آراء موضوعية راحت تسرد ما له وما عليه، وهذه الآراء صدرت من مسؤولين غربيين معاصرين له، وبسبب الأيديولوجيات الفكرية المعارضة تم إبعاده من منصبه.

فمن الكتَّاب من وقف في صف السلطان عبد الحميد نافيًا قتله للأرمن، معللين ما حدث في نهاية القرن التاسع عشر بأنه كان رد فعل طبيعي على تمرد الأرمن الذين ذبحوا نساء وأطفال المسلمين بتشجيع من الغرب، وخططوا لتقسيم الدولة العثمانية والقضاء عليها.

ومن هؤلاء الكتاب:

İhsan süreyya SIRMA "إحسان ثريا صيرمه"، و Gökban Çetinsaya "كوك بان جتين صايا"، و Seyfullah Arpacı "سيف الله آربه جي".

وتناول هؤلاء الكتاب الثلاثة قضية الأرمن على هذا النحو:

لقد قاوم السلطان عبد الحميد الثاني تمرد الأرمن الذي حدث بتشجيع من الغرب[20]. إن أزمة 1894– 1896 هي أزمة فعلية ذات أبعاد كثيرة. فالمشكلة الأرمنية ظهرت في أواخر ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن التاسع عشر ليس في الولايات الست فحسب (الولايات الست في الأناضول الشرقية) ولكن ظهرت في بضع ولايات أخرى بما فيها استانبول أيضًا، وأصابت الدولة بالضعف داخليا وخارجيًا[21]. وكانت امتدادًا لـ"المشكلة الشرقية" والتي مصدرها أوروبا، وبرزت مع اتفاقيتي سان ستيفانو وبرلين[22].

[20] - İhsan süreyya SIRMA: **II. Abdülhamid'in İslam Birliği Siyaseti**, 3. baskı, Beyan yayınları, Ankara 1989, s.49.

[21] - Gökban Çetinsaya: **II. Abdülhamidin iç Politikası**: Bir Dönemlendirme denemesi, osmanlı araştırmaları, The Journal of Ottoman studies, İstanbul 2016, s.389.

[22] - Seyfullah Arpacı: **a.g.e**, s.74.

وخلال تلك المعاهدتين اللتين عقدتا بعد الحرب الروسية العثمانية مُنحت بعض الحقوق السياسية للأرمن، غير أن السلطان عبد الحميد لم ينفذ هذه البنود حفاظا على سلامة دولته. وبناء على موقفه هذا كثَّف الأرمن من تمردهم بتحريض ودعم من الغرب[23].

كان للأحداث الأرمنية ثلاث نقاط أساسية يفصل بينها عام واحد:
الأحداث العنيفة التي وقعت في صاصون في أغسطس عام 1894، مظاهرات الأرمن أمام الباب العالي في 30 سبتمبر 1895 وأحداث استانبول، والهجوم على البنك العثماني وأزمة الرهائن في 26 أغسطس عام 1896. وفي الوقت نفسه كانت أحداث العنف الدموية في الولايات التي يقطن بها الأرمن في الأناضول تترى في إثر بعضها بعضًا[24].

إن الأرمن الذين بدأوا في النزاع مع الأتراك عن طريق الاتفاق مع الدول الأجنبية بدأوا يظهرون أنفسهم بصفتهم "مجتمع مضطهد" من أجل القدرة على الحصول على الدعم الغربي، وادعوا أيضًا أن الأتراك اغتصبوا حقوقهم في السيطرة على الأناضول[25].

كانت انجلترا التي كانت تدعم الأرمن بشدة حينئذ مستفيدة من التمرد الأرمني، وعقدت اتفاقًا مع روسيا وكانت تريد التدخل في الأناضول الشرقية. ولكن الله سلَّم فلم يتفقوا في هذا الموضوع[26].

وقد أطلق الأرمن وأوروبا المدافعة عنهم على السلطان عبد الحميد الثاني لقب "السلطان الأحمر" بسبب معاقبته للأرمن الذين ذبحوا المسلمين حتى النساء والأطفال. وبالطبع بعد ذلك أخذ مؤرخونا هذا المصطلح الذي اختلقه الأرمن، واستخدموه باستهتار وفق أهوائهم. واليوم وبينما نقول السلطان الأحمر لا ندرك أننا نُسعد العالم الغربي الإمبريالي".

[23] - İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e**, s.50.
[24] - Gökban Çetinsaya: **a.g.e**, s.389.
[25] - Seyfullah Arpacı: **a.g.e**, s.76.
[26] - İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e**, s.51.

فالأرمن الذين عاشوا حياة هادئة ومطيعة تحت حكم الدول الإسلامية بضعة قرون ثاروا فجأة في القرن التاسع عشر، وتمردوا على الدولة العثمانية، وهو موضوع يجب الوقوف عنده بحذر[27].

فمن أنقذ الأرمن الذين كانوا رازحين تحت ظلم البيزنطيين ومنَحهم حق العيش الإنساني، إنهم السلاجقة الأتراك. وفي عهد السلطان (محمد الفاتح) مُنِحَ للأرمن حرية المعتقد[28].

لقد جمع السلطان عبد الحميد الجنود من الأناضول الشرقية وجنوب شرق الأناضول، وأسس جيشًا خاصًا أطلق عليه اسم "الحميدية" من أجل إخماد تمرد الأرمن. وبعد تأسيس هذا الجيش وعندما عجز الأرمن عن الوجود بشكل كبير شرق الأناضول هاجموا البنك العثماني الواقع في استانبول في 26 أغسطس 1896، وقتلوا بضعة أشخاص: ودبروا لاغتيال السلطان عبد الحميد. ولكن على الرغم من جميع الضغوط الأوروبية وإعلان تسمية السلطان عبد الحميد بالسلطان الأحمر، فإنه أخمد تمرد الأرمن.

لقد عارض السلطان عبد الحميد بشدة تأسيس الأرمن لدولة خاصة بهم، كما عارض بشدة تأسيس اليهود لوطن لهم في فلسطين، فاتحدت هذه المجموعات المعارضة ضده وبدأوا في تنظيم أنشطة مشتركة. ويتضح من مجريات هذه الأحداث التاريخية أن المسألة الأرمنية كانت نابعة من قانون التنظيمات ودستور المشروطية الثانية، اللذين منحا امتيازات وحقوقًا كثيرة للأرمن[29].

لقد أسس الأرمن حزبي هينتشاق في جنيف في سويسرا عام 1889، ودشناق في تفليس عام 1890. وعندما ردَّ السلطان عبد الحميد على الأرمن الموجودين في ساسون والذين تمردوا تمردًا عنيفًا عام 1894م ، أرسلت حكومتا انجلترا وفرنسا محققين إلى تركيا للتحقيق فيما حدث. وعلى الرغم من ثبوت أن سبب هذه الاضطرابات هو الأرمن، تم تحريف الأحداث من قبل الدولتين السابق ذكرهما وأحدثا ضجة قائلين : "عبد الحميد يقتل الأرمن في ساسون"[30].

[27] - İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e**, s.49.
[28] - Seyfullah Arpacı: **a.g.e**, s.74.
[29] - İhsan süreyya SIRMA**: a.g.e**, s.51.
[30] - İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e**, s.50.

كل هذه الأحداث سمحت بتدخل الدول الكبرى وعلى رأسها انجلترا. واعتبارًا من مايو 1895 ظهرت من جديد ضغوطات ومطالب بالإصلاح في الولايات الشرقية مستندين إلى المادة 61 من اتفاقية برلين[31].

وعندما بدأ الضعف يصيب الدولة العثمانية، وتعرضت للتدخل الأوروبي في كل شئونها تقريبًا، بدأت فترة توتر في العلاقات التركية الأرمنية[32].

وكانت الأحداث كلما تصاعدت وبدأت في الخروج عن السيطرة، زادت المشاورات والمفاوضات بين الدول الكبرى لتقاسم الرجل المريض "الدولة العثمانية"[33].

فالدول الغربية كانت تهدف في الأساس إلى قطع صلة الأرمن بالمجتمع التركي بهدف الوصول إلى مكاسب إقليمية وذلك بتقسيم الدولة العثمانية. لا سيما بعض الدول الأوروبية العظمى، فبينما كانت تتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية تحت ذريعة "الإصلاح" من جانب، كان الأرمن أيضًا يشكلون جبهة لمواجهة الإدارة العثمانية. وعلى هذا النحو ونتيجة الأنشطة الاستفزازية للعصابات الأرمنية المسلحة والتي تشكلت داخل البلاد وخارجها وأيضًا أنشطة الكنائس الأرمنية، بدأ المجتمع الأرمني في الابتعاد عن الأتراك رويدًا رويدًا[34].

ووفقًا لقناعتنا يجب النظر إلى هذه القضية بشكل مختلف عما هو مشاهد حتى الآن. ومن الضروري معرفة ما هو العامل الرئيس لظهور التمرد الأرمني الذي بدأ في مناطق مختلفة من الأناضول ونتج عنه استشهاد آلاف المسلمين[35].

وعلى الجانب الآخر هناك كتابات لكتّاب غربيين هاجمت السلطان عبد الحميد الثاني بضراوة، ووصفته بأبشع الصفات، وأطلقت عليه لقب "السلطان الأحمر" محملة إياه المسؤولية الكاملة عن قتل عدد كبير من الأرمن في أواخر القرن التاسع عشر، ليس هذا فحسب بل سبّته بألفاظ نتحفظ عن ذكرها تنم عن أيديولوجيات فكرية راديكالية. وعللت تلك الأحداث بعللٍ

31 - Gökban Çetinsaya**: a.g.e**, s.389.
32 - Seyfullah Arpacı: **a.g.e**, s.76.
33 - Gökban Çetinsaya: **a.g.e**, s.389.
34 - Seyfullah Arpacı: **a.g.e**, s.76.
35 - İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e**, s.49.

يصعب على العقل تصديقها ومن أخطرها الزعم بأنه ولد غير شرعي، وأن والده أرمني لذا هو يحاول نفي ذلك الاتهام عن نفسه بقتل الأرمن ليثبت أنه ليس واحدًا منهم. وتزعم هذه الكتابات الغربية أن السلطان عبد الحميد الثاني هو الذي شجع الأرمن وحرَّضهم على الثورة والتمرد بواسطة جواسيسه ليتخذ هذا الأمر ذريعةً للتنكيل بهم.

وسوف نكتفي هنا بإلقاء الضوء على حادثة الأرمن من خلال كتابين غربيين:

الكتاب الأول بعنوان:

ABDUL HAMID (THE SHADOW OF GOD) عبد الحميد ظل الله

للكاتبة النمساوية **Alma Wittlin الما وتلن**[36].

والذي كُتب في البداية باللغة الألمانية، ثم تُرجم بعد ذلك إلى الإنجليزية، ونشر أول مرة عام 1940. والكتاب الثاني بعنوان:

The red sultan's soliloquy(مناجاة السلطان الأحمر)

وهو للكاتبة الأمريكية: **ALICE STONE BLACKWELL**[37]

وقد تناولا قضية الأرمن على هذا النحو:

---

[36]- "**ألما ستيفاني ويتلين**" (23 مارس 1899 ليمبرج – 31 ديسمبر 1992 بالو ألتو) كانت كاتبة نمساوية. ولدت في لفيف أو بالقرب منها، والتي كانت تتبع الإمبراطورية النمساوية المجرية، وتعلمت في فيينا، وحصلت على الدكتوراه في تاريخ الفن من جامعة فيينا عام 1925، ذهبت إلى إنجلترا عام 1937. ثم سافرت بعد ذلك إلى الولايات المتحدة وحصلت على الجنسية في عام 1959. انظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Alma_Wittlin

[37] – **أليس ستون بلاكويل:** من مواليد 14 سبتمبر 1857 في أورانج، نيوجيرسي، الولايات المتحدة. ولدت في عائلة راديكالية وثورية. أمضت حياتها اللاحقة في الترويج لقضايا اجتماعية راديكالية. تولت بلاكويل مناصب مهمة بصفتها محررة لمجلة The Woman's Journal ، واستخدمت الصحيفة للدفاع عن كثير من القضايا الأخرى، مثل الإبادة الجماعية للأرمن. وتوفيت في 15 مارس 1950. انظر:

-https://www.britannica.com/biography/Alice-Stone-Blackwel

-https://www.nps.gov/people/alice-stone-blackwell.htm

إن أحد أكثر التواريخ الوطنية إثارة للاهتمام في العالم هو تاريخ الشعب الأرمني. إنه زاخر بأزهى مظاهر البطولة وأشد مأساة سوادًا. لا أحد يستطيع أن يقرأها بعقل متفتح وقلب عاطفي دون الإعجاب والتعاطف الشديد[38].

ورغم أن أرمنيا كانت ولاية تابعة للدولة العثمانية منذ بداية القرن السادس عشر فإن الأرمن ظلوا مخلصين لعقيدتهم المسيحية، وحافظوا على الوحدة مع الشعوب المسيحية رغم بعد المسافة والحاجز الإسلامي الذي يفصلهم عن أوروبا. وقد أعطتهم الطبيعة الجبلية للبلاد ميزة الاحتفاظ بخصائصهم الطبيعية في مواجهة جيرانهم الأقوياء روسيا من الشمال، وبلاد فارس والهند من الجنوب والجنوب الشرقي[39].

ومنذ انعقاد مؤتمر برلين شعر الأرمن أن هناك ارتباطًا حديثًا بالعالم الأوروبي المسيحي. وقد نصت الفِقرة 61 من معاهدة برلين على تعهد السلطان العثماني بإدخال إصلاحات خاصة في أرمنيا[40].

وبموجب هذه الفِقرة من معاهدة برلين ألزمت السلطات الباب العالي بإدخال مثل هذه الإصلاحات في أرمنيا لحماية الأرمن وممتلكاتهم من التوحش الكردي وسوء الحكم الرسمي.

لقد أصبحت السياسة الثابتة لحكم عبد الحميد هي إخلاء السكان، أو على الأقل إضعاف المستوطنات الأرمنية القوية عن طريق المذابح، وجذب المهاجرين الأتراك والشركس إلى هذه المراكز الأرمنية، لعدم ترك أي ولاية في أرمنيا ذات غالبية للأرمن لكي لا يتم تنفيذ المادة 61 بشكل فعلي. ولتنفيذ هذه السياسة المشينة، أُنشئت منظمة سيئة السمعة تسمى سلاح الفرسان الحميدية، وتتألف من عرق الأكراد، الذين كانوا بلاءً للأرمن، والذين جُلبت أعداد كبيرة منهم

38- ALICE STONE BLACKWELL: **THE RED SULTAN'S SOLILOQUY**, S.V BEDICKIAN, SHERMAN, FRENCH & COMPANY, BOSTON 1912, P.17.

39 - Alma Wittlin**: Abdul hamid (the shadow of god),** translated from the german by Norman Denny, london , first published 1940, p.170.

40 - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.171.

إلى القسطنطينية وتم إرضاؤهم بالهدايا وتجهيزهم بالكامل لعملهم المستقبلي، وأُعيدوا مرة أخرى للقيام بواجب الشرطة بين الأرمن[41].

لقد مضى ثمانية عشر عامًا منذ توقيع معاهدة برلين ولم تُنفذ تلك الإصلاحات بعد، لكن هناك جيل جديد من الأرمن نشأ في ظل آمال تزايدت مع امتداد السنين[42].

وبطبيعة الحال كانت هناك في الأرض ولا سيما في العاصمة، مظاهر لا توصف من الابتهاج والأخوة التي لم يسمع بها بين المسيحيين والمسلمين. ومع ذلك فإنه وفي الوقت نفسه كان هناك أيضًا تيَّار خفي قوي من المشاعر المغالية في بعض الدوائر الإسلامية ضد هذا الابتكار الذي أُدخل من أوروبا "الكافرة"، على أساس أنه –الدستور– والذي حل محل الشريعة المقدسة قوانين القرآن، ولأنها أعلنت أيضًا المساواة المطلقة بين الأجناس، أي المسلمين والمسيحيين واليهود، فقد وُضعوا جميعًا الآن على قدم المساواة. هذه المشاعر الرجعية كانت مشتركة إلى حد بعيد أيضًا مع بعض كبار الشخصيات، وكذلك جيش بعض الخوارج الذين أدركوا الآن وبوضوح أن النظام الجديد سيزيحهم عن أعمالهم المشينة المتمثلة في إراقة الدماء[43].

قام شباب الأرمن برحلات حج إلى الغرب وكذلك إلى أوروبا، حيث زاروا الجامعات والمدن الصناعية. وتسللت إليهم أصداء المذاهب الاشتراكية الجديدة وهمهمات عن حقوق الإنسان، وتلميحات استعباد الأغنياء للفقراء. ولم يكن تحوُّل وتبدل مواقف الأرمن ضد أغنياء وطنهم والتجار وجباة الضرائب فحسب، بل وضعوا مسؤولية مشاكلهم على عاتق حكام الدولة العثمانية بل السلطان نفسه. كانت الكلمات والخطب الرنانة تتبعها الأسلحة والمواد المتفجرة، حيث كانت هناك قرى تُخبأ فيها أكياس البارود في كل كوخ. لقد سمع جواسيس السلطان ما

[41]- ALICE STONE BLACKWELL**: a.g.e**, P.18.

[42] - Alma Wittlin**: a.g.e**, p.171.

[43]- ALICE STONE BLACKWELL: **a.g.e**, P.29.

يُلقى من خطب على منابر الأرمن، وشاهدوا بأعينهم الأسلحة المخبئة في مساكنهم. فأرسلوا تقاريرهم إلى السلطان والذي قام بدوره بتحريض الأرمن على مزيد من الثورة والتمرد.

إن السلطان عبد الحميد الذي كان يميل في العادة إلى سياسة التدرج والحذر والتسوية ذهب إلى النقيض تمامًا فيما يتعلق بأرمنيا. فالذكاء والحنكة السياسية التي كانت يتمتع بها وتدفعه دومًا لتوخي الحذر، كانت هذه المرة محاطة بالكراهية كلما ذكر اسم أرمنيا. لقد طغت الشبهات حول أصله غير الشرعي من أب أرمني على حياته كلها[44].

لقد هددت بتدميره فور ولادته، كما عجلت بوفاة والدته. ومع كل عمل وحشي لا يرحم تجاه الأرمن، كان يسعى من خلاله إلى إظهار أنه ليس واحدًا منهم. فكان هذا هو الإثبات الوحيد الذي يمكنه تقديمه. لأنه على الرغم من أن عددًا لا يُحصى من المؤرخين قد سجلوا الأعمال العظيمة للسلاطين الأتراك، إلا أنه لم يبق سوى الشائعات والتكهنات لتخبرنا بما حدث لأمه في الحرمليك الخاص بالسلطان عبد المجيد.

كان لدى عملاء السلطان عبد الحميد السريين كثير من العمل للقيام به في أرمنيا، حيث اختلطوا بالسكان المسيحيين، وأثاروا التمرد بين أولئك الذين لم يصابوا به بعد من جيرانهم. وقد رووا قصصًا كاذبة عن الترف في القصر الملكي، وقارنوه بسخرية بالفقر السائد في أرمنيا كما هو الحال في جميع الولايات التركية. لقد نشروا شائعات مفادها أنه سيتم إحياء الإجراءات التي نُسيت منذ زمن طويل والتي تقوم على التمييز بين المسيحيين والمسلمين. ومن هذه المزاعم أنه سوف يُطلب من المسيحيين ارتداء الياقات الصفراء في أعناقهم، وتثبيت الشياطين الخشبية على أبواب منازلهم، وبذلك تكون قد انتهت أيام التسامح. وفي الشارع أو القرية المجاورة، كان لنفس العملاء قصص وإشاعات أخرى تُتداول بين المسلمين، والحقيقة أن المسلمين كانوا جمهورهم الحقيقي. وكانوا هؤلاء الجواسيس يرتدون العمامة رمزًا للتقوى، ويدخلون خطباء يثيرون المصلين في الشوارع[45].

---

[44] - Alma Wittlin**: a.g.e,** p.171**.**

[45] - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.172.

فكانوا يحذرونهم من اقتراب هلاكهم. فأوهموهم بأن المسيحيين يخططون لطردهم من أرمنيا وسرقة ممتلكاتهم، وانتهاك مساجدهم، ليكونوا هم السادة في هذا المكان بحكم القانون. وتحدثوا عن الجيوش التي سيرسلها الغرب لدعم الأرمن ضد الأتراك. وزعموا أن أميرًا إنجليزيًا في طريقه بالفعل كي يصبح حاكمًا لأرمنيا. وقالوا إن الكفار الماكرين اخترعوا مرآة سحرية يمكنهم بها إشعال النيران في البلاد من بعيد. واستولى الذعر على المسلمين وكان رؤية أرمني واحد يرتدي الزي الغربي لا سيما القبعة الغربية تلك) كافيًا ليستحضر في ذهنهم رؤية الجيش الغازي. ونصح المحرضون المسلمينَ بعدم انتظار هجوم المسيحيين، بل توقعه. وصار التوتر الذي يخيم على معظم أنحاء أرمنيا كبيرا[46].

كانت الإيماءة في الأسواق أو المقاهي كافية لإطلاق العنان للقتل. ولم يكن هناك أي نقص في المواد المتفجرة. وقد يكون الديناميت شيئًا جديدًا، ولكن العداء بين الفلاحين والبدو المتجولين، الذين كانوا يسرقون في الأوقات العصيبة ما يريدون من الذرة أو الماشية أو النساء، كان قديمًا قدم تلالهم.

كانت هذه الصراعات بين الفلاحين والبدو تحدث دائمًا في الأراضي البدائية، لكنها كانت معارك بدائية، تندلع بشكل متقطع وتنتهي دون كارثة. وكان للشجار بين البدو المسلمين الأكراد والفلاحين المسيحيين الأرمن أهمية أخرى.

لم يمض وقت طويل قبل أن يتمكن المحرضون من إبلاغ قصر يلدز بالنجاحات. وسرعان ما أدرك المسلمون أن حظوة السيد في القسطنطينية كانت في صالحهم، وأنه سمح لهم، بل وأمرهم، بمهاجمة "الكفار"، بل خُصصت أيام للاعتداءات.

لقد نجح عبد الحميد بشكل مثير للإعجاب في أهدافه الجهنمية متمثلة في مجازر 1895 المخيفة، وقد طالت المذبحة أضنة ومحافظتها وما لا يقل عن 30.000 مسيحي قُتلوا بالسيف

[46] - Alma Wittlin**: a.g.e**, p.173.

أو بالنار، وبيوتهم التي كانت سعيدة ومزدهرة ذات يوم دمرت تمامًا، وتركت مساحات كبيرة من أرض مقفرة، وسكانها الكادحون السابقون إما قُتلوا أو أُجبروا على الهجرة إلى بلدان أخرى.

وفي أغلب الأحيان، كان زعيم القرية المسلم يقنع المسيحيين بإلقاء أسلحتهم من خلال وعدهم بحمايته الشخصية. وبعد ذلك يُهاجم الأشخاص الذين نُزعت أسلحتهم داخل منازلهم، ولم يُسمح لأي منهم بالبقاء على قيد الحياة فوق سن الثانية عشرة – أي ليس لديه القدرة على جلب مسيحيين جدد إلى العالم.

أول نظرة للدماء تسلبهم عقلهم فلم يعودوا يكتفون بالنهب، بل أشعلوا النار في المنازل، والأراضي التي كانوا حريصين جدًا على الحفاظ عليها في البداية. إن اندلاع الفوضى في إحدى القرى، سواء كانت الضحية الأولى مسيحية أو محمدية، كان بمثابة إشارة للرعاة الأكراد المجاورين على خيولهم الحماسية. لقد فهم الأكراد السرقة والقتل. لم يكن هذا من شأنهم فحسب، بل كان من دواعي سرورهم أيضًا. لقد قاتلوا بشكل أفضل باستخدام خرق من ملابس النساء ترفرف من أُسنِّة رماحهم – ملابس النساء والفتيات المسيحيات اللاتي اغتصبهن أمام أعين آبائهن وأزواجهن[47].

توقف الناس عن سماع صوت الضمير، توقفوا عن أن يكونوا بشرًا: عاملوا إخوانهم البشر وكأنهم حيوانات، ودنوا بأنفسهم إلى مستوى الحيوانات. ملأ الدراويش الهواء بصيحاتهم المتطرفة:

"هيا انهبوا واقتلوا واحرقوا حتى تشبع قلوبكم. إن الله يفرح بدماء الكفار. ودخان بيوتهم المحترقة لذيذ عنده مثل دخان المذبح. حتى الرجل العجوز". لن يشفق، لأن إيمانه قاسٍ وجاف مثل عظامه". حدثت طقوس العربدة من الكراهية في الكنائس. تلك الجدران التي رددت الأناشيد المهيبة والكلمات الدينية الرقيقة لا بد أن تنظر بازدراء إلى محاكم التفتيش الجهنمية. كان المسلمون يضعون أواني معدنية متوهجة على رءوس المسيحيين، ويُطلق عليهم "تيجان

[47] - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.174.

الأساقفة"، و"تيجان الشوك". ورُسم الصليب على أجساد المسيحيين، وسئلوا: لماذا لا يساعدك المسيح؟ وقطعت حناجر الشباب كأنهم بهائم قربانية، بمصاحبة الأناشيد المقدسة. تدفقت تيارات من الدم على العتبات.

تراوح تقدير العدد الإجمالي للأرمن الذين قتلوا خلال الأعوام 1894–1896 من مائة ألف إلى نصف مليون. وبالمقارنة مع هذه المجزرة فإن قتل الأطفال في بيت لحم يبدو تافهًا تقريبًا. لم تؤد محاولات المبشرين المسيحيين لإنهاء المذبحة إلا إلى إنقاذ عدد قليلٍ من الناس. وظل السلطان يصم أذنيه عن كل المناشدات وكل اللوم. ويعتقد عبد الحميد أنه عندما يتعلق الأمر بأرمنيا فلا داعي للخوف من التدخل الأوروبي. لقد سلم موقعها الجغرافي بالكامل إلى يديه[48].

لا جرم أن إنجلترا كانت تمتلك قبرص من الناحية النظرية، لكن قبرص كانت بعيدة جدًا عن كل من إنجلترا وأرمنيا، وسيكون نقل القوات من الجزيرة عملية مكلفة للغاية. وكانت الدولة الوحيدة المجاورة مباشرة هي روسيا، ولكن في العقدين اللذين تليا الحرب الروسية التركية تضاءلت حدة مخططاتها بشأن تركيا. كان لدى القيصر ما يكفي ليفعله للحفاظ على النظام بين ثواره. ورغم أن الاحتجاجات الأشد تأكيدًا وصلت إلى القسطنطينية من حكومات أوروبا، فإنه لم يُتخذ أي إجراء آخر. وأعربت أوروبا بصوت عال عن اشمئزازها من المجازر. لكن الصراع استمر عامين كاملين، ليس في أرمنيا فحسب، بل في كل أرجاء الدولة العثمانية.

ويمكن القول أنه لم يوافق أي تركي حصل على قدر من التعليم على المذابح الأرمنية. وفي 26 أغسطس 1896، وصلت هذه المبارزة الوحشية بين عبد الحميد وأرمنيا إلى ذروتها.

في ذلك اليوم، احتلت مجموعة من الأرمن – الأرمن الروس وكذلك الأتراك– مقر البنك العثماني في القسطنطينية، وألقوا القنابل في الشوارع. لم يكن هذا العمل العنيف موجهًا ضد السلطان فحسب، بل ضد أوروبا، ولم يكن موجهًا ضد الدبلوماسيين الأوروبيين الذين لم يفعلوا سوى القليل لحماية الأرمن بقدر ما كان موجهًا ضد الرأسماليين الأوروبيين. إن الأرمن الذين

[48] - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.175.

نقلوا ثورتهم إلى القسطنطينية نفسها، وجعلوا البنك العثماني هدفهم الأول، كانوا جزءًا من الحركة الاشتراكية التي ألهمت أرمنيا في المقام الأول بالثورة ضد السلطان[49].

كان من المقرر أن يتم ضم مباني أهم بنك في البلاد ليكون بمثابة المقر الثوري، وتسبب هذا في شحوب وجه الرأسماليين، ولا سيما الرأسماليين الأوروبيين، الذين كانوا من المساهمين المهمين فيه.

تحركت أوروبا الآن للاضطلاع بدور مؤثر في صراع السلطان مع أرمنيا. رتبت السفارات الأوروبية لمنح مجموعة الرجال الذين استولوا على البنك حرية الوصول إلى سفينة أوروبية. فهل كانوا يقومون إذن بحماية معكري السلام من العقوبة التي يستحقونها وفقًا للمعايير الأوروبية؟ ولم يجرؤوا بأية حال على القيام بأي محاولة أخرى لحل المشكلة الأرمنية. ولم تكن أوروبا، التي كانت في ذلك الوقت خالية من تهديد الثورة الاشتراكية، ترغب في الانخراط في ثورة اشتراكية في أي مكان آخر. ولذلك كان لعبد الحميد الحرية في ملاحقة الأرمن بكراهيته تلك.

لقد أوضح لهم في الوقت نفسه أن سرقة الأرمن وقتلهم هو واجب المسلمين الصالحين. كان هناك كثير من العاطلين والسجناء المفرج عنهم حديثًا والأتراك الفقراء المتاحين لتنفيذ المرسوم الديني، الذي لم يكن أقل من حملة تدمير منظمة ببراعة. بدا تشقق زجاج النوافذ في الأحياء الأرمنية وكأن زلزالًا قد ضرب المدينة. ولم تبق أي ممتلكات مملوكة للأرمن على حالها، وبالطبع لم يبق أي أرمني. وبسبب التشابه الجسدي بين الأرمن واليهود واليونانيين، مُيِّزت منازل الأرمن بالصليب. وهكذا تمكن جنود السلطان، الذين أحدثوا الخراب واليأس لمدة ثلاثة أيام من التمييز بين ضحاياهم. وهكذا كان عبد الحميد قد زرع الموت بإشارة من يده [50].

ويتضح من خلال تلك الآراء التي عرضناها آنفًا للكاتبة النمساوية ألما ويتلن شدة تحاملها على السلطان عبد الحميد الثاني، بل لقد ذهبت بمخيلتها إلى أبعد من ذلك عندما قالت أن

[49] - Alma Wittlin**: a.g.e**, p.176.
[50] - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.177.

السلطان عبد الحميد الثاني كان يواجه الأرمن بالهروات لأنه يكره سماع أصوات الأسلحة النارية. فتقول:

لقد ذهب عبد الحميد إلى حد تحديد الأسلحة التي يجب استخدامها في مواجهة الأرمن. كان يكره الأسلحة النارية لأن الضجيج الذي كانت تحدثه كان يصيب أعصابه بالتوتر. لقد أمر بتسليح جيشه من الأشرار بهراوات مثقلة بالحديد، وظل حي الميناء المحيط بالسوق لمدة ثلاثة أيام يتردد صداه بأزيز المخارط بينما كان الخرَّاطون يعملون لتلبية الطلبات بلا توقف[51].

وهؤلاء الأرمن الذين سنحت لهم الفرصة في الهروب من تلك الكراهية المقيدة بالحديد لجأوا إلى الأوروبيين أو إلى المسلمين الأكثر إنسانية – أو إلى البحر الذي لا يتغير والذي كان يضرب شواطئ القسطنطينية بهدوء. وكان للمأساة الأرمنية جوانب عديدة. فقد كانت ثورة اشتراكية، وعربدة من الاستبداد، وحربًا دينية. إن القرن التاسع عشر، الذي افتتح بكل تأكيد بوصفه للحرية والتنوير، قد اقترب بلا شك من نهايته[52].

وأطلق التاريخ على عبد الحميد الثاني لقب "السلطان الأحمر" وذلك بسبب سياسته الشيطانية في الإبادة متمثلة في تنفيذ مجازر الأرمن تلك[53].

وبين هذا وذاك نعرض هذه الشهادة التي ترد على المزاعم السابقة والتي بلا شك تعد بمثابة وثيقة من مسؤول كبير تقلد منصب وزارة الخارجية الفرنسية وهو "**غابرييل هانوتو**" والتي نُشرت بتاريخ 1 ديسمبر عام 1895 في جريدة **"Revue *de* Paris"** .

يقول "**غابرييل هانوتو**" فيها إن الأرمن لم يتم قتلهم من قبل السلطان عبد الحميد، بالعكس فهو يعامل جميع المواطنين بشكل عادل، وواصل حديثه قائلًا:

" السلطان عبد الحميد رجل أسمر ذا وجه شاحب ونظرات مهمومة وأيادي جميلة" وبينما يربط جميع أفراد العالم الإسلامي من أفريقيا وآسيا وحتى البلقان بيده اللطيفة تلك، فإنه في الوقت

---

[51] - Alma Wittlin**: a.g.e, p.177.**

[52] - Alma Wittlin**: a.g.e, p.178.**

[53]- ALICE STONE BLACKWELL: **a.g.e**, P.17.

نفسه يمسك بنفس اليد اللطيفة تلك مفاتيح القدس ومضيق جناق قلعة: يد لطيفة وصغيرة لكنها في الواقع مشغولة جدًا".[54]

ورغم إعلان **غابرييل هانوتو** الذي تقلد وزارة الخارجية الفرنسية في 30 مايو 1894 أن السلطان عبد الحميد يعامل المسلمين والرعايا غير المسلمين بشكل جيد جدًا ويحمي حقوقهم، لكن لم يلتفت إليه لأنه تحدث بحيادية، وبعد مدة أقيل من منصبه بسبب موقفه هذا أيضًا[55].

وهناك كتابات حاولت الربط بين تلك الأحداث والغلو الديني عند بعض كبار الشخصيات مثل كتاب مناجاة السلطان الأحمر: ***The red sultan's soliloquy***

للكاتبة الأمريكية **أليس ستون بلاكويل. فتقول:**

وبعد إعلان المشروطية الثانية كان من الطبيعي أن تكون في البلاد، ولا سيما في العاصمة مناظر لا توصف من الابتهاج والتآخي بين المسيحيين والمسلمين. ولكن في الوقت نفسه كان هناك أيضًا تيار قوي من المشاعر المغالية في بعض الأوساط الإسلامية ضد هذا الابتكار الذي جاء من أوروبا (الكافرة) على أساس أن الدستور يحل محل الشريعة الإسلامية، ولأنه أعلن أيضًا عن المساواة المطلقة بين الأجناس المسلمين والمسيحيين واليهود، فقد أصبحوا جميعًا الآن على قدم المساواة. قد شارك في هذا الشعور الرجعي إلى حدٍ بعيد أيضًا بعض كبار الشخصيات، وكذلك جيش الطفيليين الذين رأوا الآن بوضوح أن النظام الجديد للأشياء سيخرجهم تمامًا من أعمالهم الشائنة المتمثلة في مص الدماء[56].

---

[54] - Ermenilerin Abdülhamid tarafından katliam edilmediklerini, bilakis onun bütün vatandaşlarına adil davrandığını söylüyor ve şöyle devam ediyor:
"... Abdülhamid, esmer, soluk yüzlü, endişeli bakışlı ve güzel
elleri olan bir adamdır. O bu nazik eliyle, Afrika ve Asya ortalarından
Balkanlara kadar olan İslâm dünyasının bütün fertlerini birbirine bağlarken,
aynı nazik eliyle Kudüs ve Çanakkale boğazının anahtarını da tutmaktadır: Küçük ve nazik, ve fakat gerçekte çok meşgul olan bir el . " bakın:
İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e**, s.50.

[55] - İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e**, s.50.

[56]- ALICE STONE BLACKWELL**: a.g.e**, P.29.

وعلى العكس مما قالته الكاتبة الأمريكية فقد كان إعلان المشروطية الثانية سببًا في فرحة عارمة بين كل رعايا الدولة العثمانية.

وقد أرجع البعض سبب حدوث تلك المشكلات مع الأرمن إلى ضعف الدولة العثمانية داخليًا وخارجيًا.

يقول **ريتشارد هوفانيسيان**[57]، المؤلف الرئيس لمنهج كاليفورنيا النموذجي لتدريس حقوق الإنسان لعام 1988:

لقد عاش معظم الأرمن في سلام نسبي طالما كانت الإمبراطورية العثمانية قوية مترامية الأطراف. ولكن ما لبث القمع والغلو أن ازداد مع انهيار البنية الإدارية والمالية والعسكرية للإمبراطورية تحت وطأة الفساد الداخلي والتحديات الخارجية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[58].

خاضت الدولة العثمانية حربًا مع روسيا في البلقان عام 1877م. ومع استمرار الحرب واجه الأرمن الذين كانوا ممنوعين قانونًا من الخدمة في الجيش العثماني معضلة. فهل يجب عليهم أن يدعموا الروس والمسيحيين الذين وعدوا الأرمن بمعاملة عادلة في ظل حكم القيصر، أم هل ينبغي لهم أن يظلوا موالين للإمبراطورية التي تعاملهم كأنهم مواطنون من الدرجة الثانية؟

لقد استقبل العديد من الأرمن القوات الروسية بقيادة الأرمن الروس كمحررين في يناير 1878م. وطلبت الحكومة العثمانية من روسيا إنهاء القتال، وبدأت مفاوضات السلام وسرعان ما انهارت المفاوضات، وتحرك الجيش الروسي نحو العاصمة العثمانية.

57 – ريتشارد گابل هوفانيسيان (نوفمبر 1932– يوليو 2023) هو مؤرخ أمريكي أرمني وأستاذ فخري في جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس.

58 - **The Genocide of the Armenians, FACING HISTORY AND OURSELVES NATIONAL FOUNDATION,** Brookline 2004, P.25.

وأرسلت الحكومة البريطانية جيشًا لمنع الروس من الاستيلاء على القسطنطينية (استانبول) . وفي اجتماع عقد في سان ستيفانو على مشارف العاصمة العثمانية جرت محاولة ثانية للتوصل إلى سلام دائم. منحت المعاهدة الناتجة الاستقلال لصربيا والجبل الأسود والحكم الذاتي لبلغاريا. كما منحت روسيا عدة مناطق في القوقاز تضم عددًا كبيرًا من السكان الأرمن[59].

المبحث الثاني: القبضة الأمنية ومنع الحقوق والحرّيات

ومن بين سيل الاتهامات التي سيقت للسلطان عبد الحميد الثاني اتهامه بالقبضة الأمنية ومنع الحقوق والحريات، واستئثاره بالحكم وحده، وقمع أتباع الدولة العثمانية لا سيما الأقليات الموجودة بداخلها.

ومن الكُتَّاب من وضع المبررات للسلطان عبد الحميد الثاني ووقف في صفه، وقال إنه اتخذ بعض الإجراءات القاسية بعض الشئ بهدف حماية الدولة، ونظير ذلك نجح في البداية في الحفاظ على أمنها واستقرارها الداخلي والخارجي بعد انتهاء الحرب الروسية.

ومن هؤلاء الكتاب الأتراك **Süleyman Kocabaş سليمان قوجه باش، و Gökban Çetinsaya جوكبان جتين صايه و Mehmet Aydın محمد آيدين**، وكانت آراؤهم حول هذا الموضوع على النحو التالي:

كان إقصاء عبد الحميد عن سدة العرش هدفًا شغل الاتحاديون أنفسهم به من أجل تحقيقه، وكان الهدف المشترك لكل الأحزاب والطوائف المعارضة يتمثل في أن مشاكل الإمبراطورية العثمانية سوف تجد لها حلًا على فراش الاحتضار، وسيكون لكل داء عضال دواء ناجع له في المستقبل القريب[60].

[59] - The Genocide of the Armenians: **a.g.e**, P.28.

[60] – سليمان قوجه باش: **مصدر سبق ذكره**، ص561.

ورغم كل الأزمات الخارجية فإنه يمكننا أن نشير إلى فترة السلام النسبي أو الاستقرار الداخلي للعشر سنوات التي تشكلت بعد عام 1881. فالأزمات الخارجية التي وقعت بعد عامي 1881 – 1882 بلا شك هي أحداث لم تتحول إلى أزمة سياسية داخلية أو تثير معارضة النظام كما حدث في القضيتين الأرمنية والمقدونية. لقد تصرف السلطان عبد الحميد بتردد في كل هذه الأزمات الخارجية (مصر، السودان، الروملي الشرقية) كي لا يفسد الاستقرار الداخلي، فقد كان مُصرّا على تجنب أي تدخلات عسكرية غير واضحة المصير. انتهت الأزمات الخارجية بعد عام 1885، وقلت الضغوطات الخارجية، وبدأ السلطان عبد الحميد إحكام السيطرة أكثر على كل مفاصل السلطة[61].

ونرى أنه في هذه الفترة من الاستقرار والطمأنينة النسبية أن الإصلاحات كانت تمضي قدمًا في كل ميدان. وكانت جميع الإمكانيات المالية للخطط والمشروعات المتداولة في الفترة بين 1878 – 1882م لا تتعارض مع المبادئ الرئيسية للنظام. وقد بدأت الإصلاحات التي لا تستلزم إنفاقًا ماليًا كبيرًا، وفي الطليعة منها الإصلاحات في ساحتي العدالة والحقوق لا سيما مع تولي خير الدين باشا الصدارة العظمى بعد عام 1878م، وتبعه في ذلك كوجوك سعيد باشا. بدأت الإصلاحات المتعلقة بالجيش في عام 1880م، وفي عام 1882م تسارعت وتيرة الإصلاحات وذلك مع قدوم الوفود العسكرية الألمانية.

إن الجهود الإصلاحية للسلطان عبد الحميد سواء في المجالات الإدارية أو القانونية أو العسكرية أو في الميادين الاقتصادية والمالية والعمرانية والزراعية كانت تنتظر دراسات شاملة ومقارنة من حيث التخطيط والتنفيذ.

وفي هذه الفترة التي انتهت فيها المشاكل الخارجية حدث استقرار واضح في السياسة الداخلية، واستمرت عملية الإصلاح.

[61] - Gökban Çetinsaya: **a.g.e**, s.385.

وإذا أمعنا النظر في نظام حكم السلطان عبد الحميد الثاني نجد أن عام 1891 أو الفترة بين أعوام 1890 و 1895 تعد نقطة تحول في تاريخ الدولة العثمانية.

أ- إن فحص مراسلات القصر والباب العالي الموجودة في أرشيف يلدز، تظهر أنه بينما كان الصدور العظام حتى هذا التاريخ لا سيما سعيد باشا وكامل باشا ذوي تأثير شديد ويتمتعون بنفوذ قوي في صنع القرار، تظهر أيضًا أنه بعد هذا التاريخ بدا أن جميع الصدور العظام صاروا ضعفاء تابعين.

ب- وبعد التخلص من أزمة (1894– 1896) تشكَّل استقرار جديد في الصدارة العظمى وفي الوزارات ومعظم الولايات باستثناء الولايات التي كانت تعاني من المشكلات بشكل دائم مثل الموصل. ويمكن قراءة هذا مؤشر على استقرار نظام السلطان عبد الحميد[62].

كان السلطان عبد الحميد الثاني محرومًا من رجال الدولة المؤهلين المخلصين. فلم يكن لديه فئة من الموظفين. فهو في العادة كان يحمل هذه الدولة الضخمة بمفرده على ظهره[63].

وقد التزم السلطان عبد الحميد الثاني بداية من الأيام الأولى لتوليه العرش وحتى نهاية الحرب العثمانية الروسية 1877– 1878 بالتنظيمات بشكل عام والمثل العثمانية الجديدة جزئيًا، واستمر في العمل مع كوادر الموظفين الموجودة والتي تنتسب إلى مدارس (مذاهب) مختلفة من فترة التنظيمات[64].

ويمكن القول أنه في الفترة التي تلت إتفاقية برلين (13 يوليو 1878) شكك السلطان عبد الحميد في سياسات فترة التنظيمات، وحافظ على أغلبها وطوّر بعضها، ووجه نقدًا حقيقيًا أيضًا لقسم منها. ومن بينها سياسة الاقتراض غير المحدودة على الساحة المالية، وإظهار التساهل في نشر القوى العظمى الأوروبية لنفوذها داخل الإمبراطورية، والعجز عن منع القومية

62 - Gökban Çetinsaya: **a.g.e**, s.388.
63 - Mehmet AYDIN: **a.g.e**, s.30.
64 - Gökban Çetinsaya: **a.g.e**, s.357.

والميول العرقية بين الرعايا المسيحيين، وفي الوقت نفسه انتقد الفشل في حماية الرعايا المسلمين. ونتيجة لهذا فإنه وفي ضوء الدروس المستفادة من الماضي القريب، تم اتخاذ توجه أكثر اختلافًا في السياسة الداخلية والخارجية عن فترة التنظيمات[65].

ولم يكن من المفاجئ ظهور معارضة سياسية للنظام في النصف الأول من تسعينيات القرن التاسع عشر (1890–1900) واكتسابها قوة بشكل سريع مستفيدين من ضعف النظام لا سيما في التعامل مع الحوادث الأرمنية. وظهرت في هذه الفترة معارضة شارك فيها طلبة المدارس المدنية والعسكرية، والصحافيين والمثقفين ومن ينتسبون إلى البيروقراطية العسكرية المدنية وبعض مشايخ الطرق الصوفية والعلماء.

وظهرت حادثة الأرمن والمعارضة السياسية للنظام في وقت متزامن وقوَّى بعضها بعضًا. ومع تسارع هذين العنصرين قوي نظام السلطان عبد الحميد بشكل واضح.

والسؤال الذي يصعب الإجابة عنه هنا هو: "هل المعارضة هي التي صنعت التسلط والاستبداد أم أن التسلط والاستبداد هو الذي صنع المعارضة ". وعلى كل حال نحن نعلم أن الدافع الذي أنعش المعارضة التي بدأت في الأساس بتقديم النصح وفعَّلها هي المشكلة الأرمنية وما نتج عنها. فالحديث والنقاش حول هذين الأمرين معًا خلال أزمة 1894–1896 سيكون ذا مغزى.

وشهدت الفترة من ديسمبر 1896م ويناير1897م أشد فترات الضغط الخارجي والتدخل والتهديد. وفي هذه الفترة ألحق بالسلطان عبد الحميد لقب "السلطان الأحمر" من قبل الصحافة الأوروبية [66].

لقد أصبح النصر الذي تحقق في الحرب العثمانية اليونانية عام 1897م بمثابة رافعة حققت مخرجًا للسلطان عبد الحميد من أزمة كبيرة. وفي 6 فبراير عام 1897 بدأ –أولئك الذين اعتبروا أن الضعف الذي تقبع بداخله الدولة العثمانية بسبب الأحداث الأرمنية ميزة– تمردًا في جزيزة كريت.

[65] - Gökban Çetinsaya: **a.g.e**, s.360.
[66] - Gökban Çetinsaya: **a.g.e**, s.389.

إن الجيوش اليونانية التي رأت أنها لم تستطع الحصول على ما كانت تتوقعه من اسطنبول من خلال التفاوض، عبرت الحدود في تساليا وهاجمت الأراضي العثمانية[67].

كان السلطان عبد الحميد يحب أمته كثيرًا. فهو لم يكن ليرضى على الإطلاق بتعرض أي أحد للضرر مهما يكن ولأي سبب. فكان يعمل ليل نهار من أجل ضمان سلامة أمته، ويظل متيقظًا دون نوم مستعدًا للتضحية بحياته إذا لزم الأمر.

وفي هذا الخصوص تقول شادية سلطان:

"كان والدي يحب أمته بجنون. أنا أتذكر حربًا واحدة فقط وقت سلطنة أبي. إنها حرب اليونان. وهي كانت تصادف وقت طفولتي. ووفقًا لما أتذكره كان يتم إحضار لفائف من القماش وتوزيعها على دوائر الحرمليك. وكان يتم حياكة البيجامات للجنود الجرحى.

كنا نجلس معًا مع خادمات القصر على ماكينات الحياكة بداية من ساعات الصباح الباكر وحتى وقت النوم ليلًا، ونجتهد للانتهاء من العدد المطلوب منا. استمر هذا النشاط المحموم طوال فترة الحرب. وأنا أيضًا كنت أخيط أزرار الملابس. وكنت على يقين أني أقوم بعمل كبير. كان أبي يأتي إلينا ويقول:

- رائع يا أولادي، حفظ الله وطننا من الأعداء.

ونحن كنا نستمد القوة والحماس من تلك الكلمات، فنستمع إليها دون أن نرفع أعيننا عن ماكينة الحياكة حتى لا يضيع الوقت[68].

وقد ذهبت بعض الكتابات إلى أن قبضة السلطان عبد الحميد الأمنية تلك التي كان يمارسها في كل مكان كانت بسبب خوفه الزائد على الحد على سلطنته، وأيضًا خوفه من الفشل أو الاغتيال أو الإطاحة به، ونعرض هنا نماذج من تلك الكتابات التي توضح الأيديولوجية الفكرية لكتَّابها:

[67] - Gökban Çetinsaya: **a.g.e**, s.392.

[68] - Mehmet Aydin: a.g.e, s.34.

اشتهر عهد عبد الحميد بسوء حكمه، والقمع التعسفي الذي عانى منه كل من المسيحيين والمسلمين[69].

وفي 5 فيراير دعا السلطان عبد الحميد الثاني مدحت باشا إلى اجتماع، وعند وصوله إلى قصر دولمه باغجه تم وضعه على متن يخت وترحيله إلى إيطاليا. برَّر عبد الحميد أفعاله بأن مدحت كان يشكل تهديدًا للنظام العام وسلطته بصفته سلطانًا للبلاد[70].

لم يؤمن عبد الحميد الثاني بفعالية الدستور الملكي، حيث أنه كان يفضل أن يحكم بدون القيود المفروضة عليه من دستور 1876م. وكان عبد الحميد مستاء من زعم مدحت باشا أن الدستور كان يدل على انتصار الحضارة خلال الامبراطورية العثمانية. فلماذا إذا وافق على الدستور وفقًا لما قاله فرانسو جورجون فقد فعل ذلك لأسباب داخلية وخارجية، وإذا كان مدحت باشا وأنصاره هم من أتوا به إلى السلطة وأطاحوا بالسلطان مراد الخامس شقيق عبد الحميد عندما وجدوا أنه مختل عقليا.

وذلك أحد أسباب رغبة مدحت في وجود سلطان أكثر استقرارًا على العرش هو اتخاذ خطوة لتقديم حكومة دستورية إلى الامبراطورية العثمانية . ولما كان الملك الحاكم مختلًا عقليًا فإن الإصلاح الدستوري آنذاك سيفتقر إلى الشرعية، بينما كان مدحت قويًا وعبد الحميد لا يزال صغيرًا وينقصه الخبرة، وفي الوقت ذاته يدين بالعرش إلى مدحت فقد اضطر للموافقة محاولةً لإرضائه[71].

أُجبر "مدحت باشا" على قبول شروط السلطان عبد الحميد الثاني والتي تشتمل على إلغاء فكرة أن تكون الحكومة مسؤولة أمام الصدر الأعظم، وعوضًا عن ذلك فإن كل وزير سيكون

---

[69]- **THE RED SULTAN'S SOLILOQUY**, S.V BEDICKIAN, SHERMAN, FRENCH & COMPANY, BOSTON 1912, P.17.

[70] - **Pan-Islamism and Modernisation During the Reign of Sultan Abdülhamid II,** 1876-1909, p.85.

[71] - **Pan-Islamism and Modernisation During the Reign of Sultan Abdülhamid II**, a.g.e, p.80.

مسؤولًا بشكل فردي أمام السلطان. بالإضافة إلى ذلك فقد أصدر عبد الحميد وثيقة تمكنه بنفي من يراه مسببًا للمشاكل. وقد اعتقد عبد الحميد أن هذه الإجراءات كانت ضرورية من أجل الحفاظ على السلطة المطلقة للحاكم. وقد كان الأعضاء الليبراليون في اللجنة الدستورية معترضين على هذه التغييرات لكنهم كانوا عاجزين عن إفشال التسوية. وفي 17 ديسمبر 1876 وافق عبد الحميد على الدستور. وبعدها بيومين أعطى لمدحت منصب الوزير الأعظم لأنه كان وجه الإصلاح في الإمبراطورية العثمانية، وقد أُتخذت هذه الخطوة لإرضاء العثمانيين الشباب، وطمأنة القوى العظمى على جدية الدستور الجديد. وكما سنرى لاحقًا فقد كان السلطان يشكك في مدحت باشا وينوي الإطاحة به عندما تسنح له الفرصة[72].

وقد نقل أحد الكتاب تلك المقولة للسلطان عبد الحميد الثاني يردُّ فيها على اتهامه بعدم التسامح: فيقول: "إن الذين يتهموننا بعدم التسامح لا يسعهم إلا أن يثبتوا جهالتهم. فلو كنا أجبرنا من يعتنقون أديانًا ومذاهب أخرى داخل دولتنا على اعتناق الإسلام، ما كنا أصبنا بالحزن اليوم بهذا القدر بسبب افتقاد الوحدة الناجم عن الاختلافات الدينية"[73].

كان يسود جو غريب في الغرفة التي عادة ما يستقبل فيها عبد الحميد ضيوفه. فلم يكن باستطاعة أحد الاقتراب منه لأنه كان يقف على سجادة صغيرة لا يمكن لأي قدم أخرى أن تطأها.

لقد وقف السلطان عبد الحميد الثاني بصلابة مثل صورة الإله على هذا المذبح، كما لو كان محاطًا بحاجزٍ غير مرئي لا يمكن اختراقه. الرجال الذين وقفوا بالقرب منه وثيابهم تلمع بالذهب، وكبار الشخصيات في إمبراطورية عظيمة لم يجرؤوا إلا على التنفس بشكل متقطع أثناء وجودهم في نطاق أنفاسه. فكانت مواقفهم بمثابة اعتذار عن حقيقة أن أجسادهم، وهي الأدوات الضعيفة لأرواحهم الخاضعة تمامًا يجب أن تحصل على قدر كبير من الحرية.

[72] - **Pan-Islamism and Modernisation During the Reign of Sultan Abdülhamid II**, a.g.e, p.82.
[73] - Mehmet AYDIN: **a.g.e,** s.36.

لا توجد سلسلة يمكن أن تقيد سجينًا أكثر من الانضباط الداخلي الذي جعل أذرع كبار خدم صاحب الجلالة التركية معقودة فوق صدورهم المرهقة. ولم يجرؤوا قط على ممارسة حق الإنسان في إبقاء رأسه منتصبًا. كانت كل ظهر منحنية تحت ثقل الحضرة العلية.

وعندما كان يُطلب من أحدهم التحدث أو ترجمة كلمات زائر أجنبي، فإنهم يُظهرون احترامهم من خلال القيام بذلك همسًا. وقد سادت مثل هذه العادات وغيرها لعدة قرون في بلاط الحكام الأتراك. في أوقات سابقة كان الزوار الأجانب مبعوثو الدول الأوروبية يضطرون إلى الانتظار لعدة ايام عند بوابات القصر مقلدين نمط التواضع التركي، ويتسللون إلى الأمام وأعينهم على الأرض منحنيين في حضور "ملك الملوك".

في تلك الأيام العظيمة لتركيا كان الزوار الأجانب ومسؤولو البلاط يتنافسون فيما بينهم في الخضوع للسلطان. لكن هذا الوضع كان من الماضي. لم يعد رجال الحاشية والضيوف زملاء متوسلين يؤدون الأدوار المخصصة لهم فلقد أصبحوا منافسين. ولا تزال أشكال المجاملة المبالغ فيها موجودة، ولكن لا يمر يوم إلا يأتي معه الزائرون يتذمرون ويحذرون ويهددون. والرجال الذين ظهروا على حافة سجادة السلطان كانوا متعددي الأصناف. لقد كانوا مبعوثين من كل قسم من الشعب ومن جميع المقاطعات العدّة للإمبراطورية الشاسعة[74].

ورغم أنه كان لا يزال شابًا، فإنه كان مرهقًا من العالم بالفعل. لقد هزته طفولته القاسية، والمؤامرات المظلمة التي صاحبت مجيئه إلى العرش، وتجربته في سقوط السلاطين الثلاثة. لقد كانت تلاحقه مخاوف من نهاية مبكرة لحكمه، بالفشل أو الاغتيال أو الإطاحة به من الحكم (كان هناك من لا يزال يشير إليه على أنه "المغتصب" الذي أبعد مرادًا عن طريقه)[75].

[74] - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.99,100.
[75] - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.103.

لقد صارت تركيا متجسدة في رجل واحد بسلطة مطلقة لا يضاهيه فيها أي ملك آخر. لقد انتهت الحرب مع روسيا دون أن تؤدي إلى التهديد بتدمير الإمبراطورية وتحولت الهزيمة العسكرية على يد دولة أقوى إلى نصر شخصي للسلطان. وباستخدام الحرب ذريعة قام بحل البرلمان لأجل غير مسمى. وقد عظمت مكانته بصفته خليفة بشكل كبير في عيون العالم الإسلامي.

وكما هو الحال دائمًا كان مصممًا على أن يكون الرئيس المطلق للحكومة. ومنح لكبار المسؤولين الأتراك ألقابًا عفا عليه الزمن فكان هناك الوزير الملقب بـ "حامل الاثقال"، والبشوات الملقبين بـ "أقدام الشاه". كما عين عبد الحميد وزراء وباشوات جدد لكنهم لم يكونوا أكثر من دُمَى يحركها كيفما شاء. أما خدمه الحقيقيون فهم جواسيسه الذين كانوا جزءًا منه[76].

كان الاستماع خلف الأبواب المغلقة والمراقبة والكشف عما في قلوب الآخرين إجراءً طبيعيًا بالنسبة إليه، ووسيلة للحفاظ على ذاته. فعندما وصل عبد الحميد إلى السلطة عيّن مساعدين يجسدون وجهة نظره تلك. فقد انتشرت جواسيسه في الشوارع. في جميع المقاهي، وجميع المكاتب الحكومية حتى أنه أرسل جواسيسه إلى مياه البوسفور مختبئين على متن قارب صغير يرسو أمام فيلات كبار المسؤولين فربما يسمعون كلمات ذات أهمية. وبصرف النظر عن هذا الجاسوس سواء كان ضابطًا في الجيش أو مسؤولًا رفيع المستوى أو تاجرًا صغيرًا في السوق، لم يكن من المؤكد قط أنه لم يعش حياة مزدوجة حيث كان يعمل أيضًا أو بشكل أساسي بصفته جاسوسًا للسلطان. لقد كانت مدرسة أخلاقية سيئة أسسها عبد الحميد في إمبراطوريته[77].

كانت جدران العديد من غرفه –لا يمكن تسميتها بغرف العمل لأنه كان يقضي الليل والنهار فيه عمومًا– مبطنة بصناديق وأرفف كتب تحتوي على وثائق ومذكرات وتقارير

[76] - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.143.
[77] - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.144.

جواسيس. وكان السلطان شديد الشك دائمًا، وكان يجب أن يحصل على روايات عن نفس الأمر من مصادر مختلفة[78].

وهنا أيضًا نعود ونذكر رأي **السياسي الفرنسي غابرييل هانوتو** الذي تقلد وزارة الخارجية الفرنسية في 31 مايو 1894م والذي قال: "إن السلطان عبد الحميد يعامل المسلمين والرعايا غير المسلمين بشكل جيد جدًا، ويحمي حقوقهم، لكن لم يلتفت إليه لأنه تحدث بحيادية[79].

المبحث الثالث: فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية

ومن القضايا التي شغلت الكُتّاب والمؤرخين على اختلاف توجهاتهم فكرة إنشاء السلطان عبد الحميد الثاني للجامعة الإسلامية، وما هي الأهداف التي كان يسعى لتحقيقها بواسطة تلك الجامعة.

بالطبع اختلفت تفسيرات وتأويلات الكُتَّاب لتلك الإجراءات التي اتخذها السلطان عبد الحميد الثاني وفقًا لأيديولوجياتهم المختلفة، فمنهم من فسَّرها بأن الدافع لها هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية. أو أنه كان يهدف بواسطة ذلك للحصول على الدعم اللازم من الدول الإسلامية المختلفة في مواجهة التهديدات الخارجية التي تحيط بالدولة العثمانية.

ونعرض تلك الآراء المختلفة بذكر تلك الكتابات:

إن غيرة وحماسة السلطان عبد الحميد في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وإحياء الخلافة والتي كانت تنتشر أكثر كل يوم، أكسبته احترامًا مبالغًا فيه[80]. فقد كان السلطان عبد الحميد الثاني يرى أن الحروب الصليبية ضد الدولة العثمانية دائمة ومستمرة. حتى ولو أخذت شكلًا سريًا، لذلك كان يعمل بالإسلام على توحيد العناصر المتعددة في الدولة من ترك وعرب وأكراد وغيرهم في جبهة واحدة لكي يمكن الثبات أمام الغرب. كما كان يرى أن جبهة المسلمين في الدولة العثمانية فقط قد لا تكفي ولذلك رأى ضرورة امتداد تأثير الوحدة الإسلامية إلى كل مسلمي آسيا ولا سيما مسلمي آسيا الوسطى، وكان يرى ضرورة العمل على تدعيم أواصر الأخوة الإنسانية بين كل مسلمي العالم في الصين والهند وأواسط أفريقيا وغيرها، وحتى مع

78 - Alma Wittlin: **a.g.e**, p.146.
79 - İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e**, s.50.
80 - İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e**, s.54.

إيران، وفي هذا يقول: (عدم وجود تفاهم مع إيران أمر جدير بالتأسف عليه، وإذا أردنا أن نفوّت الفرصة على الإنجليز وعلى الروس فإنا نرى فائدة في وجود تقارب إسلامي في هذا الأمر)[81].

كان مبدأ التخويف عند السلطان عبد الحميد الثاني يعتمد على تخويف الأعداء بتعبئة العالم الإسلامي برمته بصفته خليفة للمسلمين[82]. فالحرب التي بدأت في 17 إبريل وضعت أوزارها بالهدنة في مايو 1897. وهذا النصر العسكري أكسب نظام السلطان عبد الحميد مكانة كبيرة من عدة زوايا داخل الامبراطورية وفي نظر القوى العظمى وأيضًا في العالم الإسلامي على حد سواء. وبفضل هذا النصر العسكري يمكن أن يقال إذا جاز التعبير أن نظام السلطان عبد الحميد ضرب عدة طيور بحجر واحد.

وفي مواجهة ثبات وتماسك نظام السلطان عبد الحميد، أوقفت الدول العظمى والمنظمات الأرمنية ومعارضو حركة تركيا الفتاة تحركاتها، وأُنقذت الدولة العثمانية من المستنقع الذي وقعت فيه إبان أزمة 1894– 1896 [83].

لقد أظهر السلطان عبد الحميد سياسة الإتحاد الإسلامي ضد كل المجموعات المعارضة التي قررت القضاء على الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد. ومن أجل تحقيق هذه السياسة وتحقيق الاستفادة من مؤسسة الحج التي تحمل أهمية كبيرة، لا سيما من الناحية السياسية فقد اهتم السلطان عبد الحميد أهمية بخط استانبول – الحجاز، وأيضًا إيصال خط سكة حديد الحجاز إلى المدينة المنورة، بهدف توصيل أفكاره إلى مسلمي العالم عن طريق آلاف الحجاج المسلمين الذين يتجمعون في مكة. وتؤكد المصادر أن السلطان عبد الحميد نجح في هذا التوقيت في إنشاء 100 كيلو مترًا من خط السكة الحديد في العام.

ومن ناحية أخرى كان مشايخ الطريقة (أبو الهدى الصيادي، الشيخ رحمة الله، سيد حسين الجسر ومحمد زفيف) قد روجوا فيما يبدو أنشطة السلطان عبد الحميد للوحدة الإسلامية في الحجاز وأفريقيا ومناطق مختلفة في الشرق الأوسط. ولكن المروجين الأساسيين لحركة الوحدة

---

[81] – محمد حرب: **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني**، مصدر سبق ذكره، ص23.

[82] - Seyfullah Arpacı: **a.g.e**, s.48.

[83] - Gökban Çetinsaya**: a.g.e**, s.393.

الإسلامية (الجامعة الإسلامية)، كانوا علماء دين ينظمون أنشطتهم بشكل سري. وفي التحذير الذي أرسلته سلطات باريس إلى حكام المستعمرات التي يوجد بها المسلمون بتاريخ 28 أكتوبر 1897، أوضحت أنه أُرسل بعض العملاء السريين من استانبول إلى جميع المناطق الإسلامية لتوطين فكر سياسة الإتحاد الإسلامي، وصدرت لهم الأوامر أن ينتبهوا لهؤلاء. وكانت أنشطة مشايخ الطريقة مكتوبة في وثيقة أرشيفية فرنسية[84].

من أهم أسرار السلطان عبد الحميد الثاني هو أنه كان صاحب إيمان قوي. فقد استمد سلطته ونفوذه على مدار حكمه الذي استمر ثلاثة وثلاثين عامًا من قوة إيمانه هذه.

وكان للسلطان عبد الحميد الثاني كلمة شهيرة: "الدين والعلم" فعبر عن ضرورة أن تتمتع الدولة العثمانية بهاتين الخصلتين، وأراد أن يتزين العالم الإسلامي بهاتين الحليتين. وكان يكرر كثيرًا مقولة أن العنصر الوحيد الذي من شأنه النهوض بالبلاد هو التعليم وأساسه أيضًا هو الدين. وأوضح أن بقاء الدولة العثمانية وقوتها مرتبط بسمو الإسلام واتباع تعاليمه، وأن الناس المحرومين من أخذ قسط كافٍ من التعليم الديني سيكونون أنانيين يعملون من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية فحسب، وأن الأمة سوف يصيبها الضرر من ذلك[85].

إن السلطان عبد الحميد الثاني كان يؤمن أن الإسلام هو القوة الوحيدة التي يمكن أن تنهض بالدولة العثمانية، وصرح بأن سلامة الدولة والأمة مرتبط بالتطبيق الكامل والصحيح لديننا الجميل الإسلام. فقال وكتب لأولاده ومن حولهم من الناس بضرورة ألا يكونوا لعبة في يد الأعداء، وأن يظلوا بعيدين عن أولئك الناس الذين ليس لديهم دين أو أخلاق وأن الإسلام لا يمنع التقدم بل على العكس من ذلك فهو مفتاح التقدم والازدهار. إن هذه الأفكار والآراء المتعلقة بهذا الأمر تفضل السلطان عبد الحميد بتوضيحها في أوقات مختلفة، وفي الجلسات الخاصة، وفي الأماكن العامة: إن استعادة هذه الأمة لنهضتها من جديد لا يكون بتقليد الحضارة الأوروبية وإنما بالعودة إلى الإسلام الذي هو أساس قوتنا.

[84] - İhsan süreyya SIRMA**: a.g.e**, s.52,53.
[85] - Mehmet AYDIN: **a.g.e**, s.34.

"إمبراطوريتنا هي بلد الدين والإيمان، وستظل هكذا. فإذا هُدم مفهوم الدين، فهذا يعني نهاية إمبراطوريتنا".

"يجب أن نطبق برنامجنا الخاص بنا. وقبل كل شئ يجب أن نسير في الطريق الذي حدده لنا الإسلام. ولا يستطيع أي سلطان قط أن يتحرك بعيدًا عن ذلك بأي شكل من الأشكال". وإذا كنا نريد النهوض مرة أخرى، واستعادة قوتنا الماضية، وبلوغ مجدنا القديم، فإن الذي يمنحنا ذلك ليس تقليد الحضارة الأوروبية المزعومة بل العودة إلى الإسلام مصدر قوتنا الرئيسية[86].

وعلى الجانب الآخر تحكم كتابات أخرى حكمًا قاطعًا أن السلطان عبد الحميد الثاني استخدم الإسلام وسيلة لزيادة سلطانه.

"يصف معظم المؤرخين السلطان عبد الحميد الثاني على أنه ظالم استخدم الإسلام وسيلة لزيادة سلطاته"[87].

المبحث الرابع: القضية الفلسطينية

ومن القضايا المهمة التي لاحت في الأفق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني القضية الفلسطينية، والتي كان موقف السلطان عبد الحميد الثاني منها واضحًا وضوح الشمس في رفضه توطين اليهود في فلسطين، وحتى من اتهموه بأنه كان سببًا في حصول اليهود على الأراضي الفلسطينية قالوا أنه سهل هذا الأمر بإذعانه لبعض المطالب الغربية التي كانت ستارًا لتوطين اليهود في الأراضي الفلسطينية فيما بعد.

وفيما يلي عرض لكتابات مختلفة تناولت هذا الأمر:

[86] - Mehmet AYDIN: **a.g.e**, s.35.
[87] - Pan-Islamism and Modernisation During the Reign of Sultan Abdülhamid II, **a.g.e**, p.3

لقد واجهت الامبراطورية العثمانية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر مشاكل خارجية وداخلية خطيرة. استخدم السلطان عبد الحميد الثاني (1876–1909) مختلف الأساليب التقليدية والحديثة من أجل زيادة التماسك الداخلي للإمبراطورية وتقويتها في مواجهة التهديدات الخارجية. وكان أحد الإجراءات الفريدة التي اتخذها السلطان هو شراء مساحات كبيرة من الأرض. فصار أحد أكبر ملاك الأراضي في الإمبراطورية.

في فلسطين وحدها، اشترى السلطان حوالي 3٪ من المساحة الإجمالية وشرع في اتخاذ تدابير لزيادة إنتاجية هذه الأراضي لمحفظته الخاصة. بالإضافة إلى جني الأرباح الاقتصادية، استخدم عبد الحميد الثاني أراضيه الخاصة لحل المشاكل التي تحدت سيادة الإمبراطورية.

وشملت محاولات توطين البدو، وإنشاء مدن جديدة من أجل إخضاع البدو في المناطق التي يهددون فيها المستوطنات الريفية، وتوطين اللاجئين المسلمين من القوقاز والبلقان، وحماية الأراضي الحساسة استراتيجيًا الواقعة على الحدود ، من خلال شرائها ومن ثمّ إبعادهم عن أيدي الآخرين[88].

ولم يتأخر عبد الحميد في إدراك النفاق الذي تمارسه الدول الأوروبية مقابل الضغوط التي تقوم بها روسيا وألمانيا على الدولة العثمانية في سبيل توطين اليهود في فلسطين. فهذه الدول التي تسببت في تفاقم المشكلة اليهودية تضغط على الدولة العثمانية في سبيل إعادة تجميعهم وتوطينهم في أراضيها بعد تهجيرهم من أوروبا، ثم استخدامهم أداة ضغط عليها من الداخل، كل ذلك دفع السلطان اليقظ إلى الحذر، وإلى رفع البطاقة الحمراء، واتخاذ التدابير الوقائية المتلاحقة، ومنعهم من شراء الأراضي. وبذل ما في وسعه من أجل تصفية الديون المتراكمة

[88] - Roy S. Fischel, Ruth Kark: **Sultan Abdühamid II and Palastine**: Private lands and imperial policy, New Perspectives on Turkey, no. 39 (2008):129.

من زمن والده السلطان عبد المجيد، واتخذ التدابير المالية الصارمة، غير أنه لم يتمكن من ذلك[89].

أدت الصدامات بين العرب واليهود إلى حظر الهجرة اليهودية إلى فلسطين عام 1886م، وفي عام 1888م صدرت فرمانات جديدة تسمح لليهود بزيارة دينية للقدس لمدة ثلاثة أشهر. احتجت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على القيود المفروضة على الهجرة فيما يتعلق برعاياها، فاضطرت الدولة العثمانية إلى التراجع عن قراراتها مرة أخرى، والتصريح بأن القرارات لن تطبق إلا بحق المهاجرين بأعداد كبيرة وليس بحق الذين يكونون فرادى.

تجدر الإشارة إلى محاولات رءوف باشا بوضع العراقيل في وجه المهاجرين اليهود الذين أبدوا رغبتهم في اكتساب حق الرعاية العثمانية، وبذل الجهود من أجل طرد المقيمين الأجانب الذين خرقوا الفرمان، وفرض ضريبة عالية على الذين سعوا للحصول على الجنسية العثمانية، وطلبه من الباب العالي أن تكون فلسطين خارج حرية الدخول والإقامة، فكان الرد بما نصه أن "اليهود القادمين إلى فلسطين من أجل الحج والتجارة لا يستطيعون البقاء فيها أكثر من شهر وبعدها يغادرون البلاد".

مثل هذه القرارات برأي رءوف باشا هي التي سمحت لليهود بالاستيطان الدائم. وهي الخطوات التي اتبعها الصهاينة لتسهيل أمور الهجرة إلى فلسطين[90].

لقد عارض السلطان عبد الحميد الثاني بشدة تأسيس اليهود لوطن لهم في فلسطين فاتحدت المجموعات المعارضة ضده[91]. ويؤكد أرنست أ. رامزور وهو بروفيسور أمريكي عمل

---

[89] – مصطفى أرمغان: **السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب**، ترجمة: مصطفى حمزة، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012، ص121.

[90] – فدوى نصيرات: **دور السلطان عبد الحميد الثاني في تسهيل السيطرة الصهيونية (1876–1909)**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولي، بيروت 2014، ص16.

[91] - İhsan süreyya SIRMA: **a.g.e,** s.51.

في منصب كبير في وزارة الخارجية بالولايات المتحدة الأمريكية حقيقة المساعي لعزل السلطان عبد الحميد فيقول: "وفي عام 1889م شكَّل جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية في استانبول، منظمة ثورية هدفها الواضح عزل عبد الحميد الثاني، سلطان الإمبراطورية العثمانية والخليفة أو الرئيس الروحي للإسلام"[92].

إن نقطة الضعف التي تسجلها الدراسة على السلطان عبد الحميد تجاه المسألة الفلسطينية أنه أصدر فرمانات جزئية لمصلحة بعض اليهود، وأذن لهم بمقتضاها بشراء مساحات محدودة من الأراضي الفلسطينية، وليس في حنكة المؤرخ أن يجد تفسيرًا لموافقة السلطان على إصدار هذه الفرمانات الجزئية بحجة تعرضه لضغوط أوروبية إذ شكلت هذه الفرمانات سندًا قويًا في يد الصهيونية للتوسع في شراء مزيد من الأراضي الفلسطينية وفتح باب الهجرة، سواء بطرائق مشروعة أو بأخرى غير مشروعة. ولا يمكن القول إن عبد الحميد لم يكن يتوقع أن تكون موافقته على بيع أراض محدودة في فلسطين لليهود بداية لتهويد فلسطين. إن مثل هذا التفسير يبعد من السلطان صفات السياسي الحصيف المحنك التي أجمع جمهرة من المؤرخين على أنه كان على حظ موفور من هذه السجايا[93].

وإنه لمن العدل والإنصاف أن نشير إلى أن هذه الثورة ضد السلطان قد كانت ثمنًا دفعه السلطان بسبب مواقفه من الحركة الصهيونية التي رفض مخططاتها، ووقف حجر عثرة في سبيل قبول المهاجرين اليهود إلى فلسطين أو شراء الأراضي فيها.

ويمكن القول أن ثورة 1908 وحادثة خلع السلطان عام 1909م اضطلعتا بالدور الأول المؤثر في انتعاش الأماني الصهيونية لإقامة دولة لهم في فلسطين، وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك زيادة الهجرة اليهودية إلى الأراضي المقدسة.

---

[92] – رفيق شاكر النتشه: **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين (السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين)**، مكتبة مدبولي، الطبعة الخامسة، القاهرة 1990، ص118.

[93] – فدوى نصيرات: **مصدر سبق ذكره**، بيروت 2014، ص18.

إن السلطان كان معارضًا شديدًا للهجرة اليهودية إلى الأراضي المقدسة، وما تعذر على الحركة الصهيونية القيام به في عهده، لم يتعذر عليها تحقيقه بعد ثورة 1908– 1909م، حيث أظهر الحكم الجديد تأييدًا رسميًا للنشاط الصهيوني في فلسطين مما أدى إلى مضاعفة الاحتجاجات وردود الفعل العربية للهجرة اليهودية[94].

الخاتمـــــة

1- من يمتلك أيديولوجية فكرية يصعب عليه أن يكون محايدًا في الحكم على الآخرين إلا بالمصادفة.

2- صاحب الأيديولوجية رغمًا عنه لا يستطيع أن يفرق بين الحق والباطل.

3- من يتصدر لكتابة التاريخ يجب أن تتوافر فيه شروط كثيرة على رأسها الحيادية في نقل الحقائق.

4- العقيدة مكون رئيس في تكوين الأيديولوجيات الفكرية لدى كثير من الكتّاب.

5- فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني كانت فارقة في مسيرة الدولة العثمانية.

6- السلطان عبد الحميد الثاني لم يكن ملاكًا معصومًا من الخطأ كما صوَّره بعضهم، وفي الوقت نفسه لم يكن شيطانًا كما صوره آخرون.

7- من خلال عرضنا لآراء بعض الكتاب الغربيين حول السلطان عبد الحميد الثاني يتبين لنا انتسابهم إلى أيديولوجيات فكرية متطرفة.

8- إن وصف الغرب السلطان عبد الحميد الثاني ببعض الصفات السيئة مثل السلطان الأحمر، كان يهدف إلى تشويه صورته أمام العالم، وذلك لتحجيم دوره وإيجاد ذريعة للتدخل في إدارة شؤون البلاد بحجة حماية الأقليات.

9- معارضة السلطان عبد الحميد الثاني ومحاولة إقصائه عن العرش لم يكن المقصود به السلطان عبد الحميد بشخصه، ولكن بصفته سلطان للدولة العثمانية.

---

[94] – رفيق شاكر النتشه: **المصدر السابق**، ص124، 125.

10–الأرمن كان لهم دور كبير في تأجيج الصراع وخلق اضطرابات داخل الدولة العثمانية.

11-نجحت الدول الغربية في استخدام الأرمن لإضعاف الدولة العثمانية.

12-معارضة السلطان عبد الحميد الثاني لإقامة اليهود وطن لهم في فلسطين كان واضحًا، لكن ربما لم يتخذ الإجراءات الكافية التي تحول دون ذلك مثل منع اليهود من الهجرة إلى الأراضي الفلسطينية.

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية

1- أندرو هيود: ***مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية***، ترجمة محمد صفار، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2012.

- *Andro Hyod: Mdhl Ely Alaydyologyat Alsyasya ،Trgma Mhmd Sfar ، Altbaa Alaoly ،Almrkz Alkomy Lltrgma ،Alkahra 2012.*

*2- ديفيد هوكس: **الأيديولوجية**، ترجمة: إبراهيم فتحي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000.*

- *Dyfyd Hoks: Alaydyologya ،Trgma: Ebrahym Fthy ،Almshroo Alkomy Lltrgma ،Almgls Alaaly Llthkafa ،Alkahra 2000.*

*3- رفيق شاكر النتشه: **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين (السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين)**، الطبعة الخامسة، مكتبة مدبولي، القاهرة 1990.*

- *Rfyk Shakr Alntshh: Alsltan Abd Alhmyd Althany Wflstyn (Alsltan Alzy Hsr Arshh Mn Agl Flstyn) ،Altbaa Alhamsa ،Mktba Mdboly ،Alkahra 1990.*

*4- سليمان قوجه باش: **السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسياسته**، ترجمة: د/عبد الله أحمد إبراهيم، الطبعة الأولى المركز القومي للترجمة 2008.*

- *Slyman Kogh Bash: Alsltan Abd Alhmyd Althany Shhsyth Wsyasth ،Trgma: D/Abd Allh Ahmd Ebrahym ،Altbaa Alaoly Almrkz Alkomy Lltrgma 2008.*

*5- عبد الله العروي: **مفهوم الأيديولوجيا**، الطبعة الثامنة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2012.*

- *Abd Allh Alaroy: Mfhom Alaydyologya ،Altbaa Althamna ،Almrkz Althkafy Alarby ،Aldar Albydaa 2012.*

6- فدوى نصيرات: **دور السلطان عبد الحميد الثاني في تسهيل السيطرة الصهيونية (1876-1909)**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولي، بيروت 2014.

- *Fdoy Nsyrat: Dor Alsltan Abd Alhmyd Althany Fy Tshyl Alsytra Alshyonya (1876-1909) ،Mrkz Drasat Alohda Alarbya ،Altbaa Alaoly ،Byrot 2014.*

7- محمد حرب: **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق 1990.

- *Mhmd Hrb: Alsltan Abd Alhmyd Althany Ahr Alslatyn Alothmanyyn Alkbar ، Altbaa Alaoly ،Dar Alklm ،Dmshk 1990.*

8- ــــــــ: **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني**، الطبعة الثالثة، دار القلم، دمشق 1991.

- ـــــ: *Mzkrat Alsltan Abd Alhmyd Althany ،Altbaa Althaltha ،Dar Alklm ، Dmshk 1991.*

9- مصطفى أرمغان: **السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب**، ترجمة: مصطفى حمزة، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012.

- *Mstfy Armghan: Alsltan Abd Alhmyd Walrks Ma Alzaab ،Trgma: Mstfy Hmza ،Altbaa Alaoly ،Aldar Alarbya Llolom Nashron2012 .*

ثانيًا: المصادر والمراجع التركية

1- Gökban ÇETİNSAYA: ***II. Abdülhamidin iç Politikası: Bir Dönemlendirme denemesi***, osmanlı araştırmaları, The Journal of Ottoman studies, İstanbul 2016.

2- İhsan süreyya SIRMA: ***II. Abdülhamid'in İslam Birliği Siyaseti***, 3. baskı, Beyan yayınları, Ankara 1989.

3- Cevdet Küçük: ***İslam Ansiklopedisi***, 1. Cilt, Türkiye Diyanet Vakfi, Ankara 1988.

4- Mehmet AYDIN: ***İkinci Abdülhamid Hanın Liderlik Sırları***, gümüş ofset, tarihsiz.
5- M.Metin HÜLAGÜ: ***Bir İnsan Olarak Sultan II. Abdülhamid***, Fen-Edebiyat Fakültesi, Erciyes Üniversitesi, Kayseri, tarihsiz.
6- Seyfullah ARPACI: ***Sultan II. Abdülhamid,*** ışık Yayınları, İzmir 2005.

ثالثًا: المصادر والمراجع الأجنبية

1- ALICE STONE BLACKWELL: ***The red sultan's soliloquy***, S.V Bedickian, Sherman, French & company, Boston 1912.
2- Alma Wittlin: ***Abdul hamid (the shadow of god)***, translated from the german by Norman Denny, london , first published 1940.
3- ***Pan-Islamism and Modernisation During the Reign of Sultan Abdülhamid II***, 1876-1909.
4- Roy S. Fischel, Ruth Kark: ***Sultan Abdühamid II and Palastine***: Private lands and imperial policy, New Perspectives on Turkey, no. 39 (2008).
5- ***The Genocide of the Armenians***, Facing History and Ourselves National Foundation, Brookline 2004.
6- ***The red sultan's soliloquy***, S.V Bedickian, Sherman, French & company, Boston 1912.

رابعًا: المواقع الالكترونية

1- https://en.wikipedia.org/wiki/Alma_Wittlin
2- https://www.britannica.com/biography/Alice-Stone-Blackwel
3- https://www.nps.gov/people/alice-stone-blackwell.htm